الاستعمال اللغوي في الخطاب التربوي
-نموذج مستعملي اللغة العربية -

د.مولاي احفيظ مدني علوي
كلية الآداب والعلوم الانسانية
سايس فاس-المغرب

الملخص:

نتطرق في هذه المداخلة إلى الاستعمال اللغوي في الخطاب التربوي في المغرب، ونخصص حديثنا عن نموذج مستعملي اللغة العربية، منطلقين من فرضية مفادها أن تمكُن المتعلمين من اللغة العربية وثيق الصلة باستعمالها لغويا في الخطاب التربوي، خاصة منه، الموظف في العملية التعليمية التعلمية، ولهذا الغرض تروم هذه المداخلة تلمس واقع استعمال العربية في الخطاب التربوي، سواء المنْتَج من لدن المتعلم أو من قبل المدرس، وتأثير ذلك في جودة امتلاكهما لناصية العربية، ونختم المداخلة بسبل تطوير مهارة التواصل اللغوي حتى يتم تأهيل متعلمي اللغة العربية لتعلم جيد، يساعدهم على حسن استعمالها الاستعمال الأمثل، وعلى هذا النحو نثير جملة من الأسئلة من قبيل: ما مزية اللغة العربية إذا لم يتم استعمالها لغويا في الخطاب التربوي؟ أليست مزية امتلاكها هي التواصل بها شفهيا؟ ألم يرتبط تألق اللغة العربية في الماضي، وتأنقها باستعمالها من لدن أبناء جلدتها؟ كيف هو واقع اللغة العربية على مستوى الاستعمال اللغوي لدى متعلميها؟ ما وضع مهارة التعبير الشفهي بين مكونات تدريس مادة اللغة العربية مقارنة مع التعبير الكتابي؟ متى نتحدث بانسيابية بالعربية في خطاباتنا التربوية؟

Abstract :

In this intervention we talk about the linguistic use of educational discourse in Morocco, and we specify our talk to the Arabic language users as an example, based on the hypothesis that learners' good mastery of Arabic language is strongly related to linguistic use in the educational discourse, and especially the use which is engaged in the educational learning process. Therfore, this paper highlight the status of the use of Arabic in educational discourse, be it the learners use or the teachers, and the impact of this use on the quality of their language proficiency. In the conclusion ،steps of improving linguistic communication skill are explored in order to make Arabic language learners learn best ،to be able to use it in the best way. In this vein the questions that are likely to be given are as the following:

What is the purpose of Arabic if it is not used linguistically in educational discourse?Is it not the purpose of mastering Arabic mastering how to use it in the oral communication?Was not it the reason behind the importance and the dominance of Arabic its use by the real native speakers ? How is the status of Arabic in the level of linguistic use among its learners ? what is the status of the oral exprission skill among the components of teaching Arabic in comparaison to written exprission skill?Is it not the time to give more interest to oral exprission and develop the quality of teaching Arabic ?When are we going to speak Arabic fluently in our educational discourse?

1-واقع اللغة العربية في الخطاب التربوي المغربي:

إن المتتبع لواقع اللغة العربية في منظومتنا التعليمية ليقف بجلاء على تغير مكانتها عن الوضع الذي كانت عليه في الماضي كتابةً ونطقاً؛ فقد شهدت ضمورًا في تصور الناطقين بها، وخفوتًا في تداولها، وتراجعًا في استعمالها الاستعمال الأمثل. وهو وضع يجسد صورة مصغرة لما يعرفه التعليم المغربي عموما، يقول عبد الحق الميفراني في هذا الإطار:"إن المغرب يعيش في السنوات الأخيرة على وقع اختلالات منظومته التعليمية، وهو ما جعل الدولة تعترف بوصول هذا الملف إلى طريق اللاعودة"[1] . ولهذا الغرض انصب عمل ممثلي المجلس الأعلى للتربية والتكوين على بحث مكمن الخلل وسبل تجاوزه، فكانت أولى نتائج التقصي عقد ندوة أشار فيها رئيس المجلس الأعلى عمر عزيمان إلى وجود "ضعف عام في مدارك ومكتسبات التلاميذ، وهو ضعف يفرض التعجيلَ بتشخيصٍ حتى نعالج الاختلالات...ونحقق النتيجة التي نعمل من أجلها جميعا"[2]. كما أشارت في أعقاب الندوة ذاتها رحمة بورقية مديرة الهيأة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين إلى أن" تعليمنا في خطر، إذ يظهر جليا النقص في اللغات وفي الرياضيات في جميع الجذوع المشتركة، وإذ لم تكتسب هذه المواد، فمعناه لا كفايات للتلاميذ..". وأضافت كذلك"أن تلامذة الجذع المشترك الآداب والعلوم الإنسانية في التعليم العمومي لم يكتسبوا الكفايات اللغوية في العربية والفرنسية المطلوبة في المنهاج الرسمي في حدها الأدنى.."[3]. ولعل الأرقام تؤكد ذلك، فمن خلال إجابة تلامذة الجذوع المشتركة على الروائز تبين أن "9٪ من التلاميذ العلميين و4٪ من الأدبيين فقط هم المتمكنون من التعبير الكتابي في اللغة العربية"[4].

استنادا إلى هذه المعطيات، يتبين بالأرقام ما وصل إليه واقع التعليم المغربي بشكل عام، وبخاصة موقع اللغة العربية عند مستعمليها، والحديث عن وضعها هنا ليس خارج المنظومة التربوية، بل داخل فصولها وبين مرافقها، أما إذا انتقلنا للحديث عنها في المرافق العامة فالأمر ينم عن وضعٍ مقلقٍ أكبر مما سقناه؛ ذلك أن مَشهد استعمال اللغة العربية في المؤسسات العمومية يعلن انهزامه لصالح اللغة الأم (الدارجة العامية) أو لصالح اللغة الفرنكفونية.

وحين تعيش لغةٌ وضعًا مماثلاً كهذا، قد يسرع البعض لإصدار أحكامٍ مسبقةٍ على أن العربية ترزح حالةً من النكوصِ والتراجعِ، وربما قد يخيل للبعض أن زمانها انتهى مع موت روادها في الماضي.

طبعا لا نوافق هذه الرؤى لأنها تجانب الصواب، ولأن العربية وإن كان استعمالها ضعيفا فلا يعني ذلك موتها؛ فهي قوية ليس بالوضع الذي تجري فيه على ألسنة أبنائها، وإنما بحفظ الذكر الحكيم لها مصداقا لقوله تعالى:[إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرءَانًا عربيًّا][5] وقوله تعالى:[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]"[6]، والشاهد على ما تصرح به الآيتين الكريمتين هو واقع اللغة العربية اليوم في العالم الذي يتنامى من وقت لآخر لدى الناطقين بغيرها في رغبة جامحة منهم لتعلمها، يقول عز الدين البوشيخي:"إن وضع اللغة العربية مزدهر في العالم بشكل أفضل مما هو مزدهر في أوطانها... فهناك عربية في وطنها...تزداد تراجعا واستفحالا وانحصارا في مستويات متعددة، وفي المقابل تزداد هذه اللغة انتشارا وازدهارا، ويزداد الإقبال عليها خارج أوطانها، حتى إنك إذا أردت أن تعرف أين تُعَلَّم اللغة العربية أفضلَ تعليمٍ تجده في جامعات غير عربية، ولن تجده في جامعات عربية "[7].

وعليه، إننا نختلف مع من يتحدث عن تراجع العربية اليوم لصالح اللغات الأجنبية، أو الادعاء أن العاميات ستحل محلها، لكن ما نثيره في هذا المقال هو إشكالية تداولها بين أبناء جلدتها في منظومة التعليم، فكيف لِلُغَةٍ اقترن ذكرها بالقرآن الكريم أن تعيش ما تعيشه؟

إن ما نبحث عنه في هذه المداخلة هو التمايز الواقع بين استعمال العربية اليوم واستعمالها في الماضي، وما الذي جعل العربية تتألق في الماضي وتتأنق في ألسنة متعلميها، ولا تنال الحظ الأوفر في لغة المتعلمين اليوم؟

لا شك أن الحديث عن وضع العربية في خطاباتنا التربوية حديث ذو شجونٍ، وما لسان حالها بين المتعلمين سوى أكبر دليل على ما نقول؛ فاللغة العربية ظلت لسنوات تقاوم غزو اللغات ومنافستها لها في التعليم والتعلم، واليوم تبين بالملموس عزوف متعلميها عن الرغبة في تعلمها، والرغبة في اتخاذها وسيلة تواصلهم، ومناط حديثهم، ولذلك

نتساءل مرة أخرى: كيف يمكن لِلُغَةٍ غائبةٍ في سوق المال والأعمال أن تنال إعجاب المتعلمين؟ وكيف للغةٍ يغيب الذوقُ الجماليُ في تدريسها أن تُمْتِعَ أبناءها وتستميلهم للتألق في تعلمها، والبحث عن سبل امتلاك ناصيتها؟

2- واقع الاستعمال اللغوي في الخطاب التربوي

لا يمكن أن نفصل بين وضع اللغة العربية عموما في الخطاب التربوي، واستعمالها بين عناصر العملية التعليمية التعلمية، فَأَنْ يستعمل التلاميذ العربية استعمالًا انسيابيًا، معنى ذلك أن مكانتها محفوظة في الخطاب التربوي، وأن تكون العربية لغة التداول التربوي معنى ذلك أن هناك جودة في تعليمها وتعلمها.

لكن إذا انتقلنا لواقع منظومتنا التعليمية اليوم نجده يصرح غير ذلك، فلم تظل العربية تحظى بالأهمية التي نالتها من لدن مستعمليها في الماضي، ولم يعد حسن استعمالها في الماضي هو نفسه اليوم؛ فإذا كانت اللغة العربية في الماضي، بالرغم من التحديات، تواكب العصر وتتسع دائرة مستعمليها فإن وضعها السائد في الخطاب التربوي يحتاج إلى وقفة تأملية تبحث عن مكامن الخلل، وتدفع الباحث إلى إثارة عديد من الأسئلة، وتجعله في بحث مضنٍ عن إجابات دقيقة لها.

حقا، إن اللغة العربية تعيش وضعا مقلقا في الخطاب التربوي، ولا يقتصر الأمر على التلاميذ فقط، بل هذا الوضع قد نجده سواء على لسان المتعلمين أو على لسان المدرسين أو حتى عند الأطر الإدارية، فما تجليات ذلك في الخطاب التربوي عموما؟

إن أسباب نكوص استعمال العربية على ألسنة مستعمليها متعددة ومتنوعة، وإحصاؤها أو حصرها يتطلب بحثا مستقلا، ولذلك سنقتصر على بعض منها، خاصة وأن حديثنا سينصب على وضع استعمال العربية في الخطاب التربوي.

يبدو من خلال ما تفيده بعض الدراسات الميدانية[8]، أن الاستعمال اللغوي بالعربية سواء المنتج من لدن المتعلم أو حتى من بعض المدرسين يشوبه العديد من الملاحظات، فلن نتهم اليوم المتعلم لوحده في ضعف استعماله للعربية، وإنما الأمر تتداخل فيه عناصر عدة، فيها ما يتعلق بالمدرس والمتمدرس، وفيها ما يتعلق بالمادة المدرسة، هذا دون أن نتيه عن تأثير عناصر خارج الخطاب التربوي مثل الإعلام والسياسة والاقتصاد.. .

وغني عن البيان، أن مشكلة استعمال العربية اليوم تجلياتها واضحة في الخطاب المستعمل من لدن المتعلم، سواء أكانت هنات لغوية ونحوية في ما ينتجه شفاهةً أو كتابةً داخل الفصل، أم هنات أخرى تتعلق بفقر معجمه الذهني واستنجاده بمفردات اللغة الأم، أو في صعوبة استرساله في التحدث لحيز زمني أطول.

وإذا سلمنا بوجود مثل هذه الحالات، فهذا يعني أن الوضع يؤشر عن حالة التردي الذي تعيشه اللغة العربية في ألسنة المتعلمين، وتزداد صورة هذه الوضع قلقًا، حين تجد بعض المدرسين في لغة خطابهم التربوي العديد من الملاحظات التي تثير أكثر من سؤال؛ فقد يلتجئ البعض منهم إلى شرح الدروس بالدارجة العامية والبعض الآخر بالأمازيغية، وفي جانبٍ موازٍ نجد لغة الأطر الإدارية مزدوجة؛ فبعضهم يتحدث بالأمازيغية والبعض الآخر يمزج بينها والدارجة العامية، يشير المفكر عبد السلام المسدي في هذا الصدد إلى أن الوسط البيئي للهجات المحكية في المؤسسات التعليمية يشكل خطرا على وحدة اللغة العربية الفصيحة، وبحسبه فإن جنوح المربي أو المعلم أو المدرس أو المحاضر إلى اللهجة العامية متوسّلا بها ليشرح أو يحاور، فإنه بذلك ينخرط في مشروع تفتيت أم المرجعيات وهي اللغة القومية التي عليها مدار كلّ هوية حضارية. ويضيف المسدي إلى أن استعمال العرب للهجات المحلية كوسيط ثقافي وناقل للمنتجِ الفكري والإبداعي، يُحَوِّل هذا الوسيط إلى عدو إيديولوجي بكل قيمه السلبية الناسفة للغة العربية[9]، فأين هو استعمال العربية المنشود في خطابتنا التربوية؟ وما مدى حضوره؟ ما نسب تداوله؟ كيف نريد للعربية أن تصبح مرموقة، ونِسبُ استعمالها ضعيفة؟ هل ضعف الرصيد اللغوي سبب في ما هو عليه استعمال العربية في الخطاب التربوي؟

لاشك أن هذه المسألة شائكة ومتعددة الأسباب ومن أبرزها؛ عزلة العربية عن الاستعمال اللغوي؛ إذ حلت اللهجات العامية محلها، وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين بها، فنتج عن ذلك وضعا يتطلب تسليط أضواء البحث عن الخلل. وفي

هذا السياق يُرجِع الباحث السيميائي سعيد بنكراد السبب إلى رغبة بعض الجهات إحلال الدارجة العامية محل اللغة العربية، حيث "تم تدبيرها هذه المرة في المغرب، لا باعتبارها بديلا للفصحى فحسب، بل باعتبارها تشكل جزءا من استراتيجية تروم توزيع الفضاء اللغوي بين لغات أجنبية تستخدم في التدريس والبحث العلمي...ولغة عامية موجهة إلى الاستهلاك وحده"[10]. ويضيف معبرا: "إن الغاية من الدعوة إلى استعمال الدارجة العامية، لا يعني استبدال لغة بأخرى بل هو يمهد الطريق للتخلص من الفصحى لصالح لغات أجنبية، هي أداة التبادل التجاري .."[11].

أما عز الدين البوشيخي فيشير إلى أن التقارير الدولية التي ترصد أوضاع اللغة العربية في العالم تؤكد أن هذه اللغة متراجعة في مستويات التعليم والإعلام...، وجميع المرافق العامة، وهذا التراجع مستمر في مستويات متعددة أبرزها على الإطلاق ما يجري في تعليمنا ما قبل الجامعي.. . ولهذا فإن أوضاع اللغة العربية في أوطانها لا يمكن الاطمئنان إلى نجاعته أو تقدمه أو نهضته، ومن أجل ذلك نشأت منظمات عالمية تنهض باللغة العربية[12].

استنادا إلى ما ذكر، يبدو أن أسباب نكوص الاستعمال اللغوي بالعربية متعددة ومتداخلة، فهناك من يُرجع السبب لغياب سياسة لغوية محكمة، وهناك من يرى أن التعدد اللغوي هو صلب الإشكال، وهناك من يُرجع الأمر إلى طريقة تدريسية اللغة العربية، وكيفية تفاعل المدرس والمتمدرس مع هذه الطريقة... .

ولئن تنوعت مصادر الإشكال، فإننا نعتقد أن المادة المدرسة كذلك لها تأثير بليغ أيضا في استعمال العربية من لدن التلاميذ؛ فتأثيرها لا يقل أهمية في نمو أو ضعف سليقتهم اللغوية. ومنه نتساءل: هل منهاج اللغة العربية اليوم يتوفر على مادة مدرسة تؤهل التلاميذ للاستعمال اللغوي الجيد؟ ما حدود التأثير الذي تمارسه اللغات الأجنبية على الخطاب التربوي لمستعملي العربية؟ وهل الأنشطة البيداغوجية المخصصة في مكون التعبير والإنشاء مساعدة على صقل مهارات التلاميذ، وتطوير خبراتهم في الاستعمال اللغوي شفاهة؟

3-موقع التعبير الشفهي بين مكونات اللغة العربية

لاشك أن واقع الاستعمال اللغوي في الخطاب التربوي لا يحظى بالاهتمام الكافي في منهاج اللغة العربية، فإذا كانت الكفايات المستهدفة من تدريسية اللغة العربية تسعى إلى إقدار المتعلم على"إنتاج خطاب أو نص شفهي ينسجم مع مواقف تواصلية ويتسم باتساق أجزائه"[13] ، فإن الكتب المدرسية يكاد يخلو منها شرط تحقيق هذه الكفاية المستهدفة في شقها الشفهي، فكيف نفسر ذلك؟

إن المتأمل لمكونات منهاج اللغة العربية وبالتحديد مكون التعبير والإنشاء[14]، يرصد الكثير من الملاحظات التي تعكس العناية التي تحظى بها القدرة التواصلية في جانبها الكتابي، وإغفال شبه تام للشفهي؛ فبالعودة للكتب المدرسية في جميع المستويات نكتشف أن استعمال اللغة العربية يقتصر على ما هو كتابي، أما استعمالها الشفهي فمهمل في أنشطتها.

ولتوضيح ذلك نأخذ نموذج المستوى الثانوي الإعدادي، باعتباره مرحلة أساسية في تشكيل نضج التلميذ ذهنيا ولغويا حسب الجدول الآتي[15]:

المستوى	التعبير الكتابي	التعبير الشفهي
السنة أولى إعدادي	الدورة الأولى: التفسير والتوسيع التوثيق الدورة الثانية: الإنتاج الصحفي كتابة الرسائل	غياب شبه تام لأنشطة شفهية في الدورتين

السنة الثانية إعدادي	الدورة الأولى: التلخيص التقرير التصميم الدورة الثانية: التحويل	نشاط شفهي: محاكاة أدوار اجتماعية
السنة الثالثة إعدادي	الدورة الأولى: خطاب السرد والوصف خطاب الحجاج الدورة الثانية: التخيل والإبداع النقد والحكم	غياب تام لأنشطة شفهية

وفي قراءة متمعنة لهذا الجدول، يتضح أن مكون التعبير الإنشاء، وإن كان عنصرا أساس في منهاج اللغة العربية، فإنه لا يُخَصِّص الحيز الكافي للتعبير الشفهي، هذا إذا استثنينا مهارة محاكاة أدوار اجتماعية في الثانوي الإعدادي، أو مهارة العرض الشفهي إذا انتقلنا للثانوي التأهيلي. أما جميع المهارات المدرسة في السلكين، حسب اعتقادنا، فهي تخَصَّصُ للتعبير الكتابي، ولهذا نثير سؤالا جوهريا: ما سبب تغييب التعبير الشفهي في أنشطة مكون التعبير والإنشاء؟

قد يجيب باحث ويقول إن هيمنة التعبير الكتابي في الأنشطة البيداغوجية تعزى إلى أن التعبير الشفهي ينال حظه وحقه في التفاعل الصفي، سواء في مكون القراءة أو في مكون علوم اللغة أو في مكون المؤلفات. لكن نتساءل معه، هل تُفَعّل حقا هذه المهارة في هذه المكونات كما يجب؟ أوَ لَا يحضر التعبير الكتابي كذلك في هذه المكونات؟

إن التعبير الشفهي مهارةٌ إنتاجيةٌ[16]، أما ما يمارسه المتعلم من تعبير في تلك المكونات، فهو تفاعل صَفِّي قد يكون بالإيجاب أو بالنفي، أو بإعادة مَقُول المدرس، أو بقراءة نصٍ ما، أو تكرار منجزٍ من قبلُ. في حين أن التعبير الشفهي الذي نتحدث عنه، موقعه الأصلي هو مكون التعبير والإنشاء؛ حيث تكون الفرصةُ للمتعلم لإنتاج الأفكار، وإبداع النصوص، والتصريح عن الرؤى بطريقة انسيابية، وإذا لم تتوفر تلك الأنشطة البيداغوجية التي بمُكْنَتِها تمهير القدرات التواصلية للتلميذ شفاهة، كيف سيتحقق الاستعمال اللغوي بالعربية؟

في اعتقادنا، إن التعبير الشفهي في منهاج اللغة العربية يتطلب إعادة النظر في موقعه بين مكونات المنهاج في جميع المستويات الدراسية، وأن ينال الحظ الأوفر مثله مثل التعبير الكتابي، حتى لا تتهم العربية بقصورها عن الاستعمال اللغوي شفاهة؛ بحجة أن ما يميزها هو الطابع الكتابي، ومن ثمة يُفتح المجال لدعاة الدارجة العامية لِلَّغط مرة أخرى، والتهليل بإحلالها محل اللغة العربية بدعوى تحقيق التواصل والتداول اليومي.

بينما الغيورين عن لغة الضاد سيرفضون هذا التصور، ويشاطرونا القلق نفسه حول واقع التعبير الشفهي، لأنه لا يعقل أن ننادي في جميع الإصلاحات التي همت التعليم المغربي بإعادة الاعتبار للغة العربية وتحسين جودة تدريسها، ولا نعير الاهتمام الكافي لمهارة التعبير الشفهي، أو كيف نرجو من مدرسينا تأهيل المتمدرسين لاستعمال جيد للغة العربية، ونحن نسجنهم ونقيدهم بتوجيهات تربوية تقزم مهارة التعبير الشفهي، وتحدب حجم التعبير الكتابي؟ وبأي وسيلة بيداغوجية نؤهل القدرة التواصلية لمستعملي العربية، والأنشطة الشفهية تكاد تغيب في مكون التعبير والإنشاء؟

يقول محمد مراد في هذا السياق،"إن تغيير هذه الوضعية وإرجاع اللغة العربية إلى واقع الحياة لا يمكن أن يتم إلا إذا أدرجت لغة الاختصاص في البرامج التعليمية وأصبح لها موقع إلى جانب موقع لغة الأدب"[17].

نفهم من هذا الكلام، أنه من غير المعقول أن نطمح لاستعمال العربية استعمالاً أمثلَ، والمتعلم لا يسنح له المجال للتعبير عن مواقفه شفاهة وبانسيابية، كما أنه من غير المعقول أن نطمح إلى بناء مواطن سليم يصرح عن أرائه ومواقفه، وهو لا يجد في الموضوعات المقررة في الكتاب المدرسي ميولاته وواقعه المعيش.

بناء عليه، إننا ندعو إلى ضرورة إنصاف التعبير الشفهي في منهاج اللغة العربية، ونوليه المكانة التي يستحقها، من خلال العناية بالاستراتيجيات التي تسهم في تعليمه وتعلمه، حتى نرقى بالاستعمال اللغوي المنشود في خطابتنا التربوية.

4- استراتيجيات استعمال اللغة العربية في الخطاب التربوي

إن استعادة اللغة العربية ألَقَهَا، ودورها الريادي في التواصل اللغوي سيكون رهينا بوضع استراتيجياتٍ واضحةَ المعالمِ، تسهم إلى حد كبير في حسن استعمالها الاستعمال الأجود في خطابتنا التربوية. وفي هذا السياق، لقد دعا الدستور المغربي الجديد(2011)، من بين ما دعا إليه لإصلاح منظومة التعليم، إلى ضرورة تعزيز اللغة العربية وتنمية استعمالها في مختلف مجالات العلم والمعرفة"[18]، لكن سؤالنا هنا هو بأي وسيلة بيداغوجية نحقق هذه الغاية؟

لا ريب أن مسعى استعمال اللغة العربية في المؤسسات العمومية وفي الخطاب التربوي بشكل خاص سيتحقق عندما سيتم الاهتمام بمعارف التلميذ السابقة، وربطها بالمعارف والخبرات المراد تعليمها، وبتنشيط اشتغال ما يسمى باستراتيجيات التعليم والتعلم، واستثمارها الاستثمار الأمثل، "فلا يكفي أن يتمتع الفرد بكفاءات معرفية وقدرات ذهنية عالية لكي ينجح في تحقيق التعلم وحل المشاكل بسهولة وفعالية، بل المفروض أن يفلح كذلك في طريقة توظيف تلك الكفاءات بالشكل الهادف والمفيد"[19].

وبما أن تنمية اللغة العربية من التعلمات الأساسية التي ينبغي أن يمتلكها التلميذ فإنه من المفيد أن يوظفها ويستعملها استعمالا لائقا في الخطاب التربوي. وتحقيق ذلك يتطلب تذليل الصعوبات اللائي تعترضه أثناء إنتاجه الشفهي، ويجد هذا منفذه من خلال توظيف استراتيجيات وإجراءات فعالة لنسج علاقات بين المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة، وتعلم مهارة التعبير الشفهي. ونقترح لبلوغ ذلك جملة من الاستراتيجيات التي نؤكد أهميتها لتجويد تداول العربية بين مستعمليها، فما هي أبرز إجراءاتها؟

ترتكز استراتيجيات استعمال اللغة العربية على مجموعة من الإجراءات التي ينبغي تكريسها وتثمين دورها في تدريسية اللغة العربية خاصة في مكون التعبير والإنشاء، وتتمثل بعضها في:

1- العناية بالمعجم الذهني للمتعلم عبر إغناء رصيده المعجمي، وتنمية قدرته اللغوية، ويرتبط ذلك باستضماره كمية هامة من المفردات اللغوية، وفي هذا السياق لقد أكد العديد من الباحثين أن أفضل وسيلة لاستعمال لغة ما استعمالا جيدا تكمن في ضرورة التوفر على مفردات لغوية هامة[20]، فكيف نطلب من المتعلم استعمال العربية في خطابه التربوي ورصيده المعجمي ضعيف؟ أو كيف نرغب في طلاقة لسانه أثناء التعبير الشفهي، ومكون المعجم مغيب في منهاج اللغة العربية؟.

إن استعمال اللغة العربية يقتضي بالضرورة تعلم مفرداتها، ولهذا إننا نتطلع إلى جعل المعجم مكونا أساس في منهاج اللغة العربية، مع حث التلميذ:

- ❖ على استغلال أوقات الفراغ في القراءة المكثفة، ومساعدته على تنمية ملكته المعجمية، وثراء مخزونها.
- ❖ تدريبه على استعمال المعاجم الموثوقة للتغلب على الفقر اللغوي، وإغناء رصيده المعجمي.

2- مساعدة المتعلم على النطق الصحيح للحروف،"لأن من يرغب في تعلم العربية، لن ينفعه في شيء تعلم إحدى مفرداتها بمعزل عن تعلم كيفية نطقها برسم أصولها، وما يقتضيه النطق السليم من ضوابط صوتية.."[21]، ومنه إننا نتمنى أن يحظى المكون الفونولوجي كذلك بالاهتمام في منهاج اللغة العربية.

3- تنمية مهارة المتعلم في الحفظ من التعليم الأولي، مثل حفظ القرآن الكريم؛ ذلك أن حفظ القرآن من هذا السن يطلق ألسنة حفاظه، كما أن حفظ القصائد الشعرية من شأنه أن يشكل لدى المتعلم سليقة لغوية وعبارات رصينة. ويتم الحفظ وفق إجراءين أساسيين هما:"

- ❖ التكرار الذهني، وهو إجراء ذهني لتنشيط المعلومات في الذاكرة قبل تلاشيها.

❖ التدعيم وهي عملية ذهنية لِاستقرار المعلومات في الذاكرة، وتتحقق بربط المعلومات الجديدة المراد حفظها بمعلومات سابقة[22] ".

4- تدريب المتعلم على الحوار الداخلي الإيجابي؛ بمعنى الحديث مع النفس بشكل إيجابي، عبر تقدير الذات أي التقييم الذي يجريه الإنسان على نفسه، ويدل تقدير الذات على الدرجة التي يعتقد بها الفرد أنه قادر، وله قيمة، وناجح وجدير[23]، وهذا ما يصطلح عليه في البرمجة اللغوية العصيبة بالرسائل الإيجابية للذات.

5-تمرين المتعلم على المخاطرة: أي توريطه في الوقوع في الخطإ، وهذا الأسلوب له آثار إيجابية على النجاح اللغوي؛ فتوريط المتعلم في مواقف حرجة من شأنه إبراز ما يمتلكه من مؤهلات معرفية لإنقاذ نفسه، ويتعلق هذا الإجراء بعامل احترام الذات، فالمتعلم الذي يتمتع بدرجة عالية من احترام الذات لا يهتم بأن يضحك زملاؤه إن هو ارتكب أخطاء، وعدم الرغبة في المخاطرة يؤدي إلى تحجر الأخطاء لديه[24].

6- تأهيل المتعلم للقيام بدور ما وممارسة الكلام تلقائيا، وذلك عن طريق خلق موضوع للحوار أو المناقشة، أو تقمص شخصيات واقعية أو القيام بأدوار مسرحية[25].

استنادا إلى ما ذكر من استراتيجيات، فإن تعلم إجراءات تطبيقها سيساعد المتعلم على دعم ملكته اللغوية، وقدرته على تعلم اللغة العربية واستعمالها الاستعمال المناسب في مقامات تواصلية مختلفة، وبذلك تنمية مهارة التحدث لديه بسلاسة ولمدة أطول ومن دون أخطاء لغوية، إلا أن تلك الإجراءات لن تتحقق إلا بتفاعل المدرس معها، إذ يقتضى الأمر منه إتباع التوجيهات الآتية:

- أن يكون في جميع الحالات منشطا للتواصل والمناقشة، ومثيرا لهما داخل الفصل؛
- العمل على إشراك جميع التلاميذ في التواصل أو المناقشة عن طريق التحفيز والتشجيع؛
- مساعدة التلميذ على الخروج من ورطته، بإتمام أفكاره بالتعابير أو المفردات التي تعوزه؛
- تشجيع التلميذ على الجرأة في مواجهة زملائه؛
- المرونة في التعامل مع الأخطاء اللغوية، ذلك أن المتعلم لا يتقدم في تعلم العربية، والتعبير شفهيا بها إلا عن طريق الخطإ.
- عدم مقاطعة التلميذ أثناء الحديث لتصحيح الخطإ، وخير أسلوب للتصحيح هو ترك الحرية له للتعبير شفهيا حتى ينهي حديثه، لأن من شأن ذلك أن يفقده الثقة بنفسه.

خلاصة

إجمالا لما سبق، نخلص إلى أن استراتيجيات استعمال العربية تتطلب اهتماما بالغا بتعلم التعبير الشفهي، وتثمين عملية تدريسه وتنشيط مهارات الاشتغال به، لِمَ له من تأثير إيجابي في تحسين جودة استعمال العربية لغويا، لكن هذا لا يعني أنه الفاعل الوحيد للتواصل اللغوي المنشود، بل لابد من تكريس فعاليته بتضافر مجموعة من العناصر الأخرى التي ستسهم بشكل فعلي في تسريع وتيرة تداول العربية. وتتمثل هذه العناصر في الأنشطة المقرر تدريسها في الكتاب المدرسي، إذ لا يمكن أن نطور الاستعمال اللغوي للعربية ما لم ينظر إلى الأنشطة المدرسة بنظرة مغايرة، إذ ينبغي أن تكون هادفة إلى تنمية القدرة التواصلية للمتعلمين، وترتكز على أسبقية التعبير الشفهي وأولويته على التعبير الكتابي، وأن تكون الموضوعات المدرَّسَة تنسجم ومستوى التلاميذ ومعارفهم واهتماماتهم، حتى يتم التفاعل معها بشغف كبير، وأن تكون النصوص مشكولة حتى تسعفهم لنطقها بشكل جيد، كما أن العناية بمكوني المعجم والصوتيات في منهاج اللغة العربية سيسهم في إثراء المخزون اللغوي للتلاميذ من جهة و من جهة ثانية يمكنهم من معرفة طريقة نطق الأصوات، علاوة عن ذلك ينبغي تخطيط سياسة لغوية جريئة تعطي الأهمية للغة العربية مقابل اللغات الأخرى، ويعمم تداولها في كافة المؤسسات، خاصة الاقتصادية منها، لأن من شأن ذلك صرف اهتمام التلاميذ عن اللغات الأجنبية لصالح اللغة العربية، وأن تكون اللغة المستعملة في المحيط الاقتصادي.

ومنه، إننا ندعو إلى ضرورة حماية اللغة العربية والدفاع عنها، عبر جعلها لغة المال والأعمال حتى تكون قادرة على الاستجابة لمتطلبات العصر، والعمل على تأهيل استراتيجيات تدريسها من الابتدائي إلى التأهيلي، حتى تساير مستجدات العملية التواصلية، ولا تظل مجرد لغة تراثية تستمد مجدها من ماضيها وليس لها مكانة في ألسنة

مستعمليها في حاضرها، ولعل التركيز على استراتيجيات استعمال اللغة العربية سَيُعيد لها أوْجَهَا وألَقَها بين أفواهِ متعلميها، كما سيفتح لها آفاقا رحبة للريادة مرة أخرى عالميا في مجالات الاقتصاد والمعرفة والبحث العلمي.

الهوامش و الإحالات:

1- - عبد الحق الميفراني، القضية اللغوية في المغرب، مجلة الدوحة، ع75، يناير 2014، قطر، ص:12

2 - كلام رئيس المجلس الأعلى للتربية والتكوين في أعقاب الندوة التي نظمها مجلسه بتاريخ 2017/03/1 بالرباط لعرض نتائج تشخيص مكتسبات تلامذة الجذوع المشتركة

3 - لمزيد من التفصيل ينظر: البرنامج الوطني لتقييم مكتسبات التلاميذ، المجلس الأعلى للتربية والتكوين 2017، ص1-16.

4 - المرجع نفسه

5 - سورة يوسف، الآية: 2

6 - سورة الحجر، الآية:9

7 - عز الدين البوشيخي، ندوة منظمة احتفالا بالمنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية.قطر، الدوحة،2016

8 - النتائج الأساسية للتقويمات التشخيصية التي أجريت على مكتسبات تلاميذ الجذوع المشتركة من لدن المجلس الأعلى للتربية والتكوين 2016

9 - عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ط1، 2010.

10 - سعيد بنكراد، الدارجة والنفعية، مجلة الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة –قطر،العدد 75 -2014ص:14.

11 - المرجع نفسه، ص:14

12 - عز الدين البوشيخي، عن ندوة منظمة احتفالا باليوم العالمي للغة العربية، قطر،2016.

13 - البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بمادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي الإعدادي،مديرية المناهج والحياة المدرسية، غشت2009 ص16

14 - التعبير والإنشاء هو المكون الذي يكشف عن مدى استثمار التلميذ لمكتسباته السابقة من مكونات منهاج اللغة العربية.

15 - مدني علوي، اللسانيات التطبيقية وتعلم مهارات اللغة العربية، سلسلة بحوث في تعليم اللغة العربية وتعلمها(1) 2016، ص:77

16 - Widdowsson, Teaching Language , as Communication, University, P :57,1985-

17 - محمد مراد، نحو لغة عربية مختصة، مجلة مجمع اللغة العربية في الشبكة العالمية، العدد5، 2017،ص:349

18 - دستور المملكة المغربية، الفصل 5، سنة 2011.

19 - استراتيجيات التعلم وتعلم الاستراتيجيات، ترجمة بن عيسى زغبوش . مجلة دفاتر العدد 15، 2005 ، ص: 57

20 Anita Lengbersten ; l'apprentissage Du Vocabulaire et le Rôle du Stratégies ;Universitetet i Oslo 2009.P:8

21 - زكرياء أرسلان، الآلة المعجمية وتعليم العربية، أعمال اليوم الدراسي:دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلمها، سلسلة21 24، 2009،ص90

22 - بن عيسى زغبوش، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم النفس، بنية الذاكرة المعجمية ووظيفتها في فهم اللغة إنتاجها 2001، تحت إشراف الغالي أحرشاو، ص: 31.

23 - براون دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، 1994، ص 130.

24 - براون دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، 133:1994-ص:134

25 - المرجع نفسه، ص:223